الطيور والمزارعون

قطعة تمثيلية مقتبسة من قصة بقلم المرحومة السيدة ودودة الصدر

الفصل الاول

المَنْظَرُ : مِصْطَبَةٌ أمامَ دارِ العُمدةِ فى بلدةٍ صغيرةٍ ، يُرَى أمامَها حدائقُ واسعةٌ ملأى بأشجارِ الفاكهةِ ومن ورائها نخلٌ عالية متكاثفةٌ . وتجرى وَسطَ الحدائقِ والنخل ترعةٌ على جانبيْها شاطئانِ عريضانِ ، وعلى جانبيْ كلِّ شاطئٍ أشجارٌ عاليةٌ التفَّتْ فروعُها بعضُها ببعضٍ فأظلَّتْ الطريقَ

وقد جلَسَ عَلَى المصْطبةِ وحولَها كثيرٌ من المزارعين وبينهم العمدةُ وناظرُ المدرسةِ الأوليةِ .

العمدةُ : اجتمعنا اليومَ لننظُرَ فى أمرِ الطيورِ التى تملأُ بلادَنا فى الربيعِ والصيفِ ، فتبنى أعشاشَها فى أشجارِنا وتأكلُ ما أثمرتْ من فاكهةٍ جميلةٍ ، ثم تَنزلُ الى حقولِنا فتلتهمُ ما فيها من قمحٍ أو شعيرٍ . وكأنَّنا لا نكدُّ ونشقى طولَ العامِ فى الحرثِ والزرعِ وسقى النباتِ والعنايةِ به إلاَّ لكى نُقدِّمَ الى هذه الطيورِ طعامَها حُلْواً سائغاً فى آخرِ الأمرِ .

الحاجُّ مصطفى : إن هذا أمرٌ خطيرٌ . فقد أكلتْ تلك الطيورُ الملعونةُ نصفَ محصولى فى العامِ الماضى . واذا تكرَّر ذلك كان فيه خرابُ بَيتى . فلنُفكرْ فى وسيلةٍ للخلاصِ منها وإلاَّ فأولى بنا أن نُريحَ أنفُسَنا من عناءِ الزِّراعةِ .

الشيخُ جادُالله : إنَّ حالىَ مثلُ حالِكَ ، ياصاحبى ! فأنَّ حديقتى التى تَعرِفُها لم يبقَ فيها فى الموسمِ الماضى شجرةُ توتٍ أو مشمشٍ الا سَطَتْ عليها الطيورُ وأكلَتْ أحسنَ ما فيها . وهذه الطيورُ لا تنفعُنا فى شىء ، فلماذا نُبْقى عليها ؟ إنَّ الواجبَ إبادتُها .

ناظرُ المدرسة : أنا لا أوافقُ على هذا الرأىِ إذ كيف تقتلُونَ هذه المخلوقات الجميلةَ التى تُسْمِعُنا أبدعَ الموسيقى كلَّ صباح ومَساء ؟ ألَمْ تَرَوْها فى أعشاشها ، وأنتم آتون إلى هذا الاجتماعِ ؟ ألم تروْا الأمهاتِ راقدةً على بَيْضها ، والكلُّ فى سعادةٍ وسرورٍ ، تُغَرِّدُ وتلعبُ صائحةً مسرورة ؟ إنَّ فى قتلها قسوةً عظيمةً فكيف تنتظرونَ منىَّ أن أغرسَ فى نفوسِ أولادكم الشفقةَ وأنتم على هذه الصورةِ من قسوةِ القلبِ ؟

الشيخُ جابرٌ : لو كان لك حقلٌ أو بستانٌ تخاف عليه لما ذَكَرْتَ الشفقةَ والموسيقى ورقادَ الأمهاتِ على بيضِها .

الناظرُ : أتوسلُ اليكم أن تستمِعُوا لنُصْحى ولا تهزءُوا

بقولى ! تأملوا تلك الكائنات الصغيرة ذات الريش الجميل والصوت الفتان ! أتبخلون عليها بحفنة من القمح أو الأرز فى مقابل ذلك الغناء البديع ؟ وإذا كنتم لا تنظرون إلا إلى مصلحتكم فثقوا أنكم ستندمون على قتلها حين لا ينفع الندم . فهذه الطيور التى تعتبرونها لصوصاً هى فى الحقيقة حراس على حدائقكم ومزارعكم .

أصوات عديدة : كفى ! كفى ! فلا بد من الخلاص منها .

الناظر : إذاً فعليكم ذنبها .

العمدة : لا أظن أن أحداً فيكم يوافق على رأى الناظر .

الجميع : كلا ! كلا ! لابد من قتلها .

العمدة : وهو كذلك . فلنبدأ من الغد .

الفصل الثانى

المنظر : غرفة الناظر فى المدرسة الأولية بعد ستة شهور

الناظر جالس على كرسى من القش أمام مكتب قديم عليه كتب وكراريس . وفى الغرفة بضعة كراسى من القش بعضها مكسور الرجل ، وبعضها هابط من مقعده وإلى إحدى الحوائط صوان مقفل مدهون بدهان أحمر .

يفتح الناظر كراسة ينظر فيها . وبعد قليل يدخل عليه جماعة من المزارعين بينهم العمدة والحاج مصطفى والشيخ جاد الله والشيخ جابر ، ويسلمون على الناظر ثم يجلسون .

العمدة : الحمد لله على السلامة ياحضرة الناظر أرجو أن تكون قد قضيت إجازة سعيدة !

الناظر : نعم ، والحمد لله ! وأى سعادة أكبر من أن يكون الأنسان بين أهله وذويه ؟ ولكنى فى الحقيقة مشتاق اليكم وإلى أبنائى التلاميذ . فكيف حالكم جميعاً

الشيخ جابر : لا تسألنا عن حالنا ياحضرة الناظر . إننا لم نر فى حياتنا سنة أسوأ من هذه السنة ولا أقل منها محصولا .

الناظر : وكيف ذلك ؟ ألم تقتلوا الطيور التى كانت تأكل المحصول ؟

الشيخ جابر : بلى ! قتلناها . ولكن ذلك لم يفدنا شيئاً .

الناظر : اقصص على ما حصل .

الشيخ جابر : عقب اجتماعنا الذى عقدناه منذ ستة شهور بدأنا مذبحة الطيور ، فقتلناها جميعاً ، وهدمنا أعشاشها ، وكسرنا بيضها ، وظننا أننا استرحنا منها .

ولما حل الصيف واشتدت الحرارة فيه . كانت الأشجار الضخمة تحجب عنا أشعة الشمس المحرقة . ولكن ذلك لم يدم . فسرعان ما رأينا أوراق الأشجار تمتلئ بالثقوب ، ويصفر لونها ، وتتساقط على الأرض ذابلة

وقد دُهشنا لذلكَ وبحثنا عنْ سَبَبِهِ، فاذا بفروع الأشجار محمَّلةٌ باليرقاتِ التى تأكلُ الأوراقَ . وبذلكَ أصبحتِ الأشجارُ عاريةً لا تُظِلُّ أحداً .

كذلكَ كانَ حالُ الزرع فى الحقول . فكانَ مُعظمُه يتأكَّلُ قبلَ أنْ يظْهَرَ عَلَى وجهِ الأرضِ وإن ظهَرَ كانَ ضعيفاً ذا بلا . كما قلّ محصولُ الفواكه ، وما جُمِعَ منها كانَ مملوءا بالحشراتِ

الشيخُ جادُ الله : نعمْ ! لقدْ أتلفت الحشراتُ من الفواكه فى حديقتى أضعافَ ما كانتْ تأكله الطيورُ .

الناظر : إنى أسفٌ لما حلّ بكمْ ، ولكنه نتيجةُ تَسَرُّعِكمْ . فأن الطيورَ التى قتلتموها كانتْ تُنَقِّبُ عن هذه الحشراتِ وتأكلها ، فتقيكُمْ شرَّها .

العمدة : واحسرتاه على هذه الطيور ! ليتنا سمعْنا نُصحَك وأبقينا عليها ! حقيقةً انك كنت مصيباً حينما قلتَ لنا إنها حرّاسٌ على حقولنا .

الناظرُ : الحمدُ لله على أنكُمْ أدركتم خطأكُم . ولكنْ لا تُشغلوا نفوسكم بالندمِ على ما فات ، بل لتنظُروا فى وسيلةٍ لتحسين الحال فى السنة القادمة .

العمدة : وهل من الممكن تحسينُ الحال ؟

الناظرُ : نعمْ . علينا أن نُعدَّ العُدَّةَ للاكثار من الطيورِ . ففى نهاية الشتاء يذهبُ كلٌّ منّا إلى بلدةٍ من البلادِ القريبةِ ، ويُحضرُ قفصاً مملوءا بها ، ونُطلقها فى الأشجارِ ، فتبنى أعشاشَها من جديدٍ ، وتعودُ إلى غنائها وبهجتها ، وإذا حلّ فصلُ الصيفِ أنقذتكم من الحشرات التى تَفتِكُ بمحصولكم . وإنما لا يجوز أن تَبْخَلوا عليها بالقليل الذى تأكله من الحبوب والفاكهة .

الجميع : فلتأكلْ ما تشاء . فانها سببُ خيرنا وبركتنا .